جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

التلفزيون والطفل

الدكتور علي محمد النجعي

الرياض

1411 هـ - 1991 م

التلفزيـــــون والطفـــــل(*)

الدكتور على محمد النجعي

١ ـ العلاقـــــة

العلاقة بين التلفزيون والطفل منشأوها الرئيسي مضمون الصورة وليس التلفزيون من ناحيتي المبدأ أو الشكل، فالتلفزيون كجهاز ما هو الاَّ أداة اتصال سريعة تستخدمه الشعوب والمجتمعات الحديثة كجزء من أنشطتها الثقافية ووسيلة من وسائل اتصالاتها اليومية، وهو من هذا المنطلق يستطيع أن ينقل الرسائل المفيدة أي أنه أداة قد تكون للخير وقد تكون لغير ذلك، اعتماداً على مضمون الرسائل التي ينقلها

وفي الدول أو المجتمعات التي سبقتنا الى استعمال التلفزيون مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ظهرت هناك أبحاث علمية وتجارب ميدانية هدفها الأول معرفة تأثير التلفزيون على سلوك الطفل ومدى خطر هذا التأثير على بناء الانسان في هذه المجتمعات، وقد كانت نتائج هذه البحوث مجالا واسعاً على بناء للحوار الساخن بين الآباء والمدرسين وعلماء الاجتماع من جهة والمسئولين عن الاعلام من جهة أخرى، فبينما يرى الفريق الأول أن ما يقدمه التلفزيون من أفلام العنف والجرائم لانحرافه عن العادات

(*) ألقيت هذه المحاضرة بمقر المركز بتاريخ ٥ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٥م.

والتقاليد الاجتماعية المرعية، يرى الاعلاميون أن المسئولية الأولى تقع على عاتق المنزل، وأن الأبوين أو الأسرة هي المسئولة بالدرجة الأولى عن رعاية هذا الطفل وتنظيم أسلوب حياته اليومية.

ويؤيد الاعلاميون في هذا الرأي الدكتور «بنجامين سبوك»[1] حيث قال. «طالما أن الطفل مهتم شخصياً بواجباته اليومية يلعب مع أصدقائه في أوقات ما بعد الظهيرة ويأتي للعشاء ثم يذهب للنوم في أوقاته المحددة غير خائف فإنني لا أمانع من تمكينه من مشاهدة التلفزيون متى شاء».

ولاشك أن طفلا كهذا لابد وأنه يتمتع برعاية تامة وعناية خاصة من قبل والديه أو الأسرة التي يعيش في كنفها، ولكن ماذا عن الطفل الذي لا يتمتع بنفس هذه الرعاية أو هذه المميزات الاجتماعية؟

لقد ظهرت منذ الستينات الميلادية وحتى الآن عدة بحوث ودراسات اعلامية عن الطفل وعلاقته بالتلفزيون، وقد أشارت معظم هذه البحوث والدراسات بدلالات قوية على أن الطفل الأقل حظاً من ناحية الرعاية الاجتماعية هو الأكثر مشاهدة للتلفزيون وبالتالي فإن تأثير التلفزيون على هذه الفئة من الأطفال أكثر خطورة على الأطفال ذوي المميزات الاجتماعية الأفضل.

---

١ - في كتابة «رعاية الطفل» الصادر في الولايات المتحدة الأمريكية. عام ١٩٦٣م

ومهما كانت النتائج العلمية لهذه البحوث والدراسات العلمية قيمة ومفيدة الاَّ أنها لا تصلح كأساس للحكم على الطفل السعودي وعلاقته بالتلفزيون، ذلك لأن الافتراضات النظرية لهذه البحوث والظروف الاجتماعية التي طبقت فيها تختلف تماماً عن تلك التي من الممكن أن تقال عن الطفل السعودي وعلاقته بالتلفزيون، كما أن التلفزيون في المجتمعات الغربية مثل الولايات المتحدة الأمريكية يعمل ضمن أطر وضوابط سياسية واجتماعية واقتصادية تختلف عن الأطر أو الضوابط التي يعمل ضمنها التلفزيون السعودي، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا يعمل التلفزيون على أساس المنافسة الحرة على جذب أكبر عدد من المشاهدين

وعلى هذا الأساس تتسابق شبكات التلفزيون الرئيسية هناك على انتاج أو شراء البرامج التي تعتقد أنها تحتوي على أكبر قدر ممكن من عناصر التشويق والاثارة، لأنهما العاملان الرئيسيان لشد المشاهد وكسب اهتمامه، سواء أكان هذا المشاهد طفلا أم كان كبيراً في السن، كما أنهما ضروريان لترويج سلع المعلنين من التجار على اختلاف فئاتهم، إذ أنه بقدر ما تنجح الشبكة التلفزيونية أو المحطة في جذب أكبر عدد من المشاهدين بقدر ما ترتفع أسهم الاعلانات التجارية فيها، وبالتي تستطيع الحصول على أكبر كسب مالي في نهاية السنة

٢ ـ التلفزيون السعودي:

أما في المملكة العربية السعودية فقد بدأ التلفزيون في ٩ ربيع

الأول عام ١٣٨٥هـ (١٧ يوليو ١٩٦٥م) كجهاز اعلامي ترفيهي حكومي يعمل ضمن المبادىء والأطر العامة لسياسة الدولة . . ومن ثم فإن التلفزيون السعودي قد التزم منذ البداية بمبادىء وقواعد رقابية نابعة من العقيدة الاسلامية والشريعة المطهرة التي تدين بها هذه البلاد، ولعل أهم بنود هذه القواعد الرقابية ما يلي:

١ ـ الالتزام بمبادىء الشريعة الاسلامية والعمل على انتاج برامج دينية وثقافية عامة تعمق هذا المفهوم بين أوساط المشاهدين.

٢ ـ مراعاة الآداب العامة والتقاليد الاجتماعية المتبعة في المملكة وحذف الصور أو المشاهد التلفزيونية التي تسيء أو تتعارض مع هذه الآداب أو العادات والتقاليد الاجتماعية.

٣ ـ عدم عرض مشاهد الخطف أو السطو أو الاغتصاب أو ما يشير الى الجريمة الموصوفة، مع حذف جميع مشاهد العنف المفرط والمشاهد التي تبين طرق ترويج المخدرات وتهريبها وكيفية توزيعها وتعاطيها في المجتمعات

وعلى أساس التزام التلفزيون بمثل هذه المبادىء وقواعد الرقابة، فقد تقبل المجتمع السعودي برامج التلفزيون بكل لهفة وشوق وخاصة من زاوية الترفيه والتسلية، كما أن كثيراً من المواطنين أدركوا فائدته في رفع مستواهم الثقافي وارشادهم في تكييف حياتهم بما يلائم متغيرات العصر الحديث.

ولقد كان الطفل من أوائل شرائح المجتمع السعودي التي اهتمت بمتابعة برامج التلفزيون، بل لقد لعب الطفل السعودي دوراً

مهماً في قبول التلفزيون ودخوله الى كثير من المنازل ذلك أنه في بداية الأمر توقفت كثير من الأسر السعودية وخاصة المحافظة من اقتناء جهاز التلفزيون أو الترحيب به في منازلهم، وعندما اكتشفت هذه الأسرة أن أطفالهم كثيراً ما يترددون على بيوت الجيران لمشاهدة التلفزيون وأحياناً يأتيهم النوم أمام التلفزيون فينامون هناك، أدركوا أنه لا محالة من قبول التلفزيون كوسيلة تسلية وتثقيف لأطفالهم.

كما اكتشفت الأم السعودية ـ طبعاً قبل وجود الخادمات وموجة انتشارهن هذه الأيام ـ أن التلفزيون عامل مساعد لها على «تهدئة» الأطفال والبعد بهم عن غرفة الغسيل وقت العمل أو المطبخ ساعات تحضير الطعام، ومن هنا كانت أفلام الكرتون التي تقدم للأطفال في فترة ما بعد الظهر ـ خاصة في رمضان ـ من أهم برامج التلفزيون لدى الأمهات، والى جانب دور الخادمة أو المربية والذي يقوم به التلفزيون أصبحت الأم السعودية سعيدة لوجود أطفالها في المنزل غير خائفة عليهم من الخروج خارج البيت أو اللعب في الشوارع والتعرض لحوادث السيارات، كما أصبحت كثير من الأسرة أو العوائل السعودية تكيف نظام حياتها اليومي ليتوافق مع مواعيد التلفزيون، وأصبح الأب السعودي يقضي أوقات فراغه ـ خاصة في فترة ما بعد الظهر ـ مع أفراد عائلته في المنزل عوضاً عن قضائها في المقاهي أو «مع الشلل» أو «الشبكات» كما كان عليه الحال قبل ادخال التلفزيون.

ولم يكتف التلفزيون في المملكة العربية السعودية بالقيام بدور

الخادمة أو المربية فقط بل قام أيضاً بدور الجد أو الجدة في المنزل من حيث سرد الحكايات المسلية والقصص الغريبة، ليس فقط للأطفال وانما أيضاً لجميع أفراد الأسرة، كما أصبحت هناك مواضيع جديدة مفيدة للحديث والمناقشة داخل أفراد العائلة أو خارجها، جاءت عن طريق التلفزيون وحلت محل تلك المواضيع أو الأحاديث الشائعة التي كان يتبادلها الناس عن بعضهم البعض وقد تكون معظمها أحاديث غير مفيدة.

ومن هذا المنطلق قبل المجتمع السعودي التلفزيون كظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية فيه، ورحّب به المواطنون في منازلهم كمركز تسلية وتثقيف لجميع أفراد الأسرة الواحدة.

٣ ـ المشكلة:

لقد تردد كثيراً عن الحكام الأوائل أنه ما من شيء الاَّ وله جوانب مفيدة وجوانب ضارة أو غير مفيدة، وأن الحياة لا تعطيك شيئاً الاَّ وتأخذ منك مقابله أشياء أخرى، تماماً كما يقول المثل الانجليزي «لا يمكن الحصول على وجبة غداء مجاناً No such thing like a free lunch» وهكذا هو التلفزيون فلم يكتف على ما يبدو بدور الخادمة أو الجدة أو الجلوس مع الأطفال وسرد الحكايات والقصص المسلية لهم، بل لقد أصبح التلفزيون معلماً ومرشداً في حد ذاته وأحياناً بمثابة «المهرج» لعادات وتقاليد قد تكون غير مألوفة لدى المواطن السعودي، ومن هنا بدأت المشكلة وبدأ الاهتمام ينصرف

نحو الأشياء أو العادات الغربية التي من الممكن أن يتعلمها الطفل من التلفزيون، ومدى تأثير ما يقدمه التلفزيون من البرامج على هذا الطفل، مثل أفلام الكرتون التي تتصف بالاثارة تارة، وبالعنف تارة أخرى، ومثل بعض الأفلام والمسلسلات وخاصة تلك التي تتحدث بلغة أو بلهجة غير التي يتحدث بها الطفل السعودي، ومن هذا المفهوم للتلفزيون وعلاقة الطفل به تكوَّن لدى بعض الآباء والمربين شعور عام بأن الطفل السعودي ربما قد تأثر ببعض العادات أو التقاليد الاجتماعية المستوردة عن طريق التلفزيون كما أنه ربما قد تعلم بعض اللهجات وأصبح يتداول بعض العبارات النابية نتيجة لتأثير بعض برامج التلفزيون، وقد انعكس هذا الشعور العام على صفحات بعض المجلات والجرائد المحلية تارة على هيئة كتابة مقالات صحفية عن التلفزيون وخطر تأثيره على الأطفال، وتارة على هيئة رسوم «كاريكاتيرية» ساخرة.

وإذا كان ما كتبته بعض الصحف أو المجلات عن الطفل السعودي وعلاقته بالتلفزيون يعتبر أحياناً من باب الثرثرة المملة لافتقاره الى تأييد الدلائل العلمية اللازمة، وهي غير متوفرة في مكتباتنا حالياً، فإن «الكاريكاتير» الساخر قد استطاع أن ينقل الينا بكل بساطة وتشويق هذا الشعور أو الانطباع العام عن التلفزيون وتأثيره السلبي على الأطفال.

من هذه الرسوم «الكريكاتيرية» ما رسمه الأستاذ محمد الخنيفر ونشر في أحد أعداد جريدة الرياض: الرسم يصور جهاز التلفزيون

والى جانبه يقف طفلان بينما يقف الأب من ناحية الجانب الآخر.

(تقول الطفلة لأبيها: إزاي يابابا ما جبتليش العروسة المشروعة الي وعدتني بيها؟ بينما يقول أخوها الصغير: شو بدي أعمل ببي كل يوم بدي ألك أعطني مصاري عشان أشتري جلاتي . . ؟ ويصيح الأب قائلا. التلفزيون مدرسة إذا أعددته أعددت شعباً متعدد الرطنات)

ومن هذه الرسوم «الكاريكاتيرية» أيضاً ـ رغم قساوة مدلوله اللفظي ـ ما رسمه الأستاذ عبدالمجيد الزهير في العدد ٤٥٤٣ من جريدة اليوم ويصور هذا «الكاريكاتير» جهاز تلفزيون مكتوباً على شاشته عبارة (المسلسل الكرتوني سنان) وأمام التلفزيون طفل يصرح في وجه أبيه بكلمة: عليك اللعنة.

ورغم أن مثل هذه الرسوم «الكاريكاتيرية» عن التلفزيون وتأثيره في المجتمع هي في نظر كثير من الناس أمور واقعية وحقائق مسلم بها، الاَّ أنها لا تزال بحاجة الى التأييد العلمي على صحة وجودها ومدى انتشارها في المجتمع وبدون هذه الدلائل العلمية فإن هذه الرسوم «الكاريكاتيرية» وغيرها مما يقال عن الطفل وعلاقته بالتلفزيون تظل في نظر المختصين من العلماء ضرباً من الظن الذي لا يستند الى حقيقة.

٤ ـ تحديد العلاقة:

الحديث عن العلاقة بين التلفزيون والطفل ربما أصبح يوصف

بالثرثرة المملة أو الحوار البيزنطي، حتى لقد ادعى بعض الباحثين الغربيين أن الطفل هو الذي يؤثر في التلفزيون، ليس التلفزيون هو الذي يؤثر في الطفل، وحجتهم في هذا الادعاء أن الطفل لا يشاهد التلفزيون الاَّ لاشباع رغباته الذاتية، وهذه الرغبات أما عاطفية مصدرها الحاجة الى الحب والحنان والانتماء الأسري المتماسك، وإما عقلية مصدرها حاجة الطفل الى معرفة قدراته الفكرية وامكاناته الذاتية في تجربة الأشياء بعيداً عن الاعتماد على الأبوين أو بقية أعضاء الأسرة، ومن هنا فإن الطفل هو الذي يعمد الى تشغيل جهاز التلفزيون، ومشاهدة البرامج التي يرى أن فيها اشباعاً لهذه الرغبات النفسية أو الاجتماعية

وبمعنى آخر لقد أصبح الحديث عن العلاقة بين التلفزيون والطفل ومن يؤثر منهما في الآخر يعادل في بعض البلدان الغربية مثل الولايات المتحدة الأمريكية، الجملة البيزنطية المشهورة: «هل الدجاجة قبل البيضة أم البيضة قبل الدجاجة؟».

أما هنا في المملكة العربية السعودية فإنه قبل أن نحدد العلاقة بين التلفزيون والطفل، وأي منها الذي يؤثر في الآخر، يجب علينا أن نقوم بالخطوات التالية:

١ ـ دراسة أولية عن نوعيات البرامج التي يشاهدها الأطفال بما في ذلك برامج التلفزيون أو الفيديو أو أشرطة الكمبيوتر والألعاب الالكترونية، سواء أكانت هذه البرامج تبث من محطة تلفزيونية داخلية أم محطة تلفزيون خارجية كما هو الحال في المنطقة الشرقية

٢ ـ تحليل علمي لمضامين هذه البرامج مع تحديد نسبة العنف أو الاجرام فيها ومعرفة ما إذا كان لارتفاع العنف أو الجريمة أو الخروج عن الآداب العامة أو العادات والتقاليد الاجتماعية المرعية أي علاقة في شهرة بعض البرامج أو رواجها لدى الأطفال.

٣ ـ إجراء بحوث ميدانية مكثفة وبتعاون مع الآباء أو المسئولين عن هذا الطفل لمعرفة عدد الساعات التي يقضيها الأطفال أمام التلفزيون أو الفيديو أو جهاز الكمبيوتر أو الألعاب الالكترونية وتأثير هذه الساعات (يومياً أو أسبوعياً) على سلوك الطفل وتصرفاته الخاصة.

هذه فقط بعض العوامل التي تساعدنا في اعطاء حكم أقرب الى الواقع عن مدى العلاقة بين التلفزيون والطفل، وهي الخطوات الأولى الى دخول عالم جديد من المعرفة بهذا الطفل وعلاقته بما قد أصبح يسمى بعالم «الاتصالات الحديثة» وهو عالم لاشك أننا لا نزال نجهله الى حد كبير.

٥ ـ تعقيـــب:

الذي نريد أن نصل إليه في نهاية هذه المحاضرة هو أن هناك شعوراً عاماً لدى كل واحد منا بوجود علاقة مباشرة بين التلفزيون فيما يقدمه من البرامج وبين الأطفال الذين يتلقون هذه البرامج بكل اهتمام وبراءة، ولكن ليس لدينا بعد الأدلة العلمية اللازمة لمعرفة

هذه العلاقة وتحديد آثارها العاطفية أو الفكرية على الطفل، كما أن وجود الطفل تحت الرعاية المكثفة والاهتمام المستمر من الأبوين أو الأسرة التي ينتمي اليها، يعتبر عاملا مهماً في المحافظة على الطفل وتخفيف حدة تأثير مشاهد العنف أو الجريمة أو الانحراف عليه، والتي قد يتعرض لمشاهدتها من التلفزيون أو عن طريق أفلام الفيديو، ومن هنا تبقى مسئولية الأبوين هي الأولى في الحفاظ على هذا الطفل وتنمية مواهبه وتهذيب سلوكه وقدراته الذاتية في تعامله مع المجتمع الذي يعيش فيه.